

الخصائص

وسبب هذه الحمول والإضافات والإلحاقات كثيرة هذه اللغة وسعتها وغلبة حاجة أهلها إلى التصرف فيها والتزكُّح في اثنائها لما يلبسونه ويكثرون استعماله من الكلام المنثور والشعر الموزون والخطاب والسُّجوع ولقوة إحساسهم في كلِّ شئ شيئا وتخيلهم ما لا يكاد يشعر به من لم يألّف مذاهبهم .

وعلى هذا ما مُنِع الصرف من الأسماء للشَّيْء اللفظيِّ نحوُّ أحمر وأصفر وأصرم وأحمد وتألَّب وتَنْضُب عَلَّامِين لِمَا في ذلك من شَيْء لفظ الفعل فحذفوا التنوين من الإسم لمشابهته ما لا حِمَّة له في التنوين وهو الفعل والشَّيْء اللفظيِّ كثير وهذا كافٍ . باب في الردِّ على من ادَّعى على العرب عنايتَها بالألْفاظ وإغفالَها المعاني . أعلم أن هذا الباب من أشرف فصول العربيَّة وأكرمها وأعلاها وأنزهها وإذا تأملته عرفت منه وبه ما يؤنقك ويذهب في الاستحسان له كل مَذْهَب بك .

وذلك أن العرب كما تُعْذَى بألفاظها فُتصلحها وتهذَّب بها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أُخرى وبالأسماع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قَدْرًا في نفوسها .

فأول ذلك عنايتها بألفاظها فإنها لمَّا كانت عُنوان معانيها وطريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها أصلحها ورتَّبها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون